د. نهاد علي*

# الأصولية الدينية اليهودية وإسقاطاتها المحلية والاقليمية

## استهلال

ليس غريباً أن تبدي مؤسسات البحث العربية والفلسطينية اهتماما واسعا بالأصولية اليهودية، ويمكننا الادعاء أن تأثير هذه الأصولية على المجتمع الفلسطيني لا يقل عن تأثيره على المجتمع اليهودي في إسرائيل، فالفلسطينيون في المناطق المحتلة هم أول من يصلى بنار الأصولية الدينية اليهودية وخاصة المسيحانية الصهيونية منها، إذ أن المشكلة مع هذه الفئة الأخيرة تتعدى العلاقة بين المحتل والشعب الذي يرزح تحت الاحتلال، لأنها تنظر الى احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية بمصطلحات "تحريرية" مسيحانية متزمتة استعلائية لا تعرف البراغماتية. هذه الأرض، من وجهة نظرهم، هي "ارض إسرائيل الكبرى" التي وعدهم بها "اله إسرائيل". هذا "الوعد الالهي الذي لا يمكن نقضه أو التراجع عنه تحت أي ظرف كان" يعتبر من أهم مميزات الأصولية اليهودية، التي سنتطرق اليها باسهاب لاحقا.

من المهم أن ننوه " أن حدود "ارض إسرائيل الكبرى" التوراتية هي محل خلاف بين تيارات الأصولية اليهودية وحتى بينها وبين الأصولية المسيحية وخاصة الانجيلية منها. بعض المراجع الأصولية تضم دولة الكويت (علي، ٢٠٠٦؛ هالسل، ٢٠٠٣).

عبر زعماء هذه المجموعة وأتباعها عن شماتتهم بمرض رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق اريئيل شارون وبالفضائح الجنسية للرئيس الاسرائيلي موشى قصاب وبإدانة وزير القضاء الإسرائيلي السابق حاييم رامون بأعمال غير أخلاقية، وحتى لم يخفوا فرحتهم باستقالة رئيس أركان الجيش الإسرائيلي دان حالوتس بعد حرب

*محاضر في قسم العلوم الإجتماعية بجامعة حيفا.

**يرتبط التطرف عادة بالانغلاق والتعصب للرأي، ورفض الآخر وكراهيته وازدرائه. والمتطرف، فرداً كان أم جماعة، ينظر إلى المجتمع نظرة سلبية سوداوية، لا يؤمن بتعددية الآراء والأفكار ووجهات النظر، ويرفض الحوار مع الآخر أو التعايش معه ومع أفكاره، ولا يبدي استعداداً لتغيير آرائه وقناعاته**

لبنان الثانية مع علمهم لما تعنيه هذه الاستقالة. كل ذلك لاعتقادهم أن ما حدث لهؤلاء ولغيرهم ليس صدفة، بل انه "عقاب رباني نتيجة لدور كل منهم في خطة الانفصال التي أدت إلى الانسحاب من قطاع غزة" .

على الرغم من أن الأصولية اليهودية لا تتمثل فقط بالأصولية المسيحيانية بل وتشمل الحريديم الاشكنازيين الغربيين و الحريديم السفارديم الشرقيين، إلا أننا في هذه المقالة سنركز أكثر على تأثير الجماعة الأولى على المجتمع الإسرائيلي وبعض إسقاطاتها على المنطقة والعالم.

## الأصولية كظاهرة عالمية

النهج المتشدد في التعامل مع الأمور، القائم على التعصب للرأي والقناعات، وعلى إلغاء الآخر ونفيه، والتعامل معه بتشدّد وحدّة فكرية أو سلوكية، ليس بالنهج الجديد، ولا يختص بفترة زمنية دون أخرى، ولا بمجموعة بشرية معينة، بل هو ظاهرة بشرية طبيعية موجودة منذ وجد الإنسان، وستظل موجودة ما دامت الحياة البشرية؛ لأنه يتعلق بطبائع البشر وميولهم ونفسياتهم. ليس الإقرار بأن وجود الظاهرة أمر طبيعي، محاولة للتقليل من حجم المشكلة وخطرها، وإنما وضعها في سياقها الصحيح الذي يساعد على فهمها. وكونها ظاهرة طبيعية لا ينفي عنها صفة أنها ظاهرة مرضيّة. وإذا كان القضاء عليها –بصورة مطلقة– مطلباً صعباً عزيز المنال، فإن الحدّ منها وتقليص أخطارها وآثارها السلبية على المجتمعات يبقى أمراً مطلوباً بصورة مستمرة (الجولاني،٢٠٠٥ ).

هذا النهج التعصبي يزداد حدة عند قولبته وإضفاء إيديولوجية دينية مسيسة عليه مما يكسبه شرعية "إلهية" بنظر منظريه، والأخطر بنظر تابعيه من البسطاء. من هنا تبدا المشكلة مع ظاهرة الاصوليات الدينية على الرغم من حذرنا من التعميمات التي قد تخطئ الهدف (علي، ٢٠٠٦).

كان المفكر العربي محمد عابد الجابري محقاً حين أكّد أنه "في جميع الأيديولوجيات هناك دوماً موقع ما للتطرف والغلوّ". مضيفاً: "سبق لي أن قلت: إنه لو كان الزمان زمان الماركسية لكان كثير من الشباب الذين يستقطبهم اليوم التطرف الديني أو الإثني يعملون في صفوف التطرف الماركسي، وهذا سبق أن حدث". كما أن التطرف ليس حكراً على المجتمعات العربية والإسلامية، فكل المجتمعات عانت أو تعاني من أشكال مختلفة من التطرف الديني والسياسي، سواء في الفكر والمعتقد، أو في الممارسة والسلوك (الجولاني،٢٠٠٥ ).

تقول كارين آرمسترونج،(٢٠٠١)، الباحثة في مجال نشأة الأصولية في الديانات الثلاث: الإسلام والمسيحية واليهودية، وفي رصدها لظاهرة بزوغ الأصولية في القرن العشرين : لقد جاءت الأصولية في بدايتها، مجرد ممارسة من العامة في كل عقيدة، للطقوس والشعائر الدينية، بشكل أكثر ورعا وتقى، وقلة فقط من هؤلاء الأصوليين هم الذين قاموا بأعمال إرهابية وركزوا على الحصول على السلطة، لكن أكثر الأصوليين تقيدا بالقانون وميلا إلى السلم ظلوا في حالة من الارتباك والحيرة والتعقيد، تجاه القيم الإيجابية للمجتمع الحديث، ولم يكن لدى الأصوليين وقت للديمقراطية أو التعددية الحزبية، أو التسامح الديني أو الحفاظ على السلام أو الخطاب الحر، أو فصل الكنيسة عن الدولة، فالأصوليون المسيحيون قاوموا الاكتشافات العلمية الخاصة بعلوم الأحياء والفيزياء، وأصروا على أن كتاب سفر التكوين يبدو علميا في جميع تفاصيله ولا يحتاج إلى إضافات من أي نوع، وفي الوقت الذي كانت غالبية البشرية تلقي بقيود وأصفاد الماضي، أظهر الأصوليون اليهود أن قانونهم المقدس، الذي مارسوه بصرامة وتشدد، هو القانون الدولي الوحيد القابل للتطبيق، وقد تبعهم الأصوليون المسلمون في تحويلهم للقضية العربية -الإسرائيلية، من قضية دنيوية إلى قضية

**يمكن القول أن التعددية الاثنية والدينية في إسرائيل لا تزال تحمل الكثير من المفاجآت في مجال الخلاف والصراع بينها، ولئن نجح النظام السياسي الإسرائيلي القائم على الديمقراطية باحتواء أي تفاقم لهذه الاختلافات والنزاعات فان اندلاع المواجهات وربما المسلحة منها لا يحتاج إلى اكثر من قرار يتخذه زعيم متهور متطرف**

دينية خالصة (2001) ، Armstrong . وتؤكد آرمسترونج أن التطرف أو الأصولية، لم تقصر نفسها علي الديانات التوحيدية، بل إنها طالت حتى الديانات البوذية والهندوسية والكونفوشيوسية، التي اتجه ابناؤها إلى القتل والحرب باسم الدين، تحت شعار الأصولية في محاولة لجذب كل ما هو مقدس وديني إلى عالم الدنيا والسياسة والكفاح القومي. إن التمرد باسم الدين دفع ملاحظيه إلى الدهشة (العفيفي، ٢٠٠٦).

باتتت مشكلة التطرف الآخذة بالاتساع في المنطقة والعالم، تُعدّ، في الآونة الأخيرة، من أكثر القضايا التي تثير اهتمام النخب الفكرية والثقافية والسياسية التي تحاول فهم الظاهرة ووضع وسائل مناسبة للتعامل معها. يدعو نمو الظاهرة وانتقالها إلى أطوار وأشكال جديدة، ربما لم تكن موجودة من قبل، إلى قراءة أكثر عمقاً، بعيداً عن الفهم السطحي للظاهرة. فكثيراً ما كانت القراءة السطحية الساذجة، سبباً في فهم الظاهرة بصورة خاطئة، وبالتالي التعامل معها بصورة خاطئة أيضاً، مما زاد من حجم المشكلة، بدلاً من أن يحدّ منها. (الجولاني،٢٠٠٥).

## تعريف الأصولية

تبدو أصولية القرن العشرين شديدة التعبير عن التطورات الدينية، لدى البعض من كل عقيدة، والذين عملوا وفق معتقداتهم الدينية على محاربة ملامح المجتمع الحديث، فتسلحوا وقتلوا من رأوا أنه يخالف قوانين الله كما يعرفونها، قتلوا العلماء والأطباء والمفكرين (كما حدث في الولايات المتحدة الأميركية على أيدي أصوليين مسيحيين)، وحتى رؤساء دولهم (كما حدث في إسرائيل على أيدي أصوليين يهود وفي مصر على أيدي أصوليين مسلمين)، وحاولوا إسقاط حكوماتهم والوصول إلى السلطة. (العفيفي،؛ 2006 Lawrence, 1989).

في السنوات الوسطى من القرن العشرين كان هناك اتجاه عام عند كثير من المنظرين نحو التسليم بأن العلمانية أصبحت اتجاها عالميا يتعذر إلغاؤه أو تحويله، وأن الدين لن يلعب مرة أخرى دورا رئيسيا في أحداث العالم، بل سيقتصر على الصعيد الشخصي، وظن هؤلاء المنظرون أن الإنسان الذي أصبح أكثر عقلانية، لم يعد لديه حاجة للدين، وأن الدين سوف يقتصر على حل الأمور السطحية والشخصية والخاصة في حياة الإنسان. ولكن منذ أواخر عشرينيات القرن الماضي خابت آمال هؤلاء المنظرين عندما بدا البريق الديني يعود للوميض (علي، ٢٠٠٦ ؛ Marty and Appleby. 1994).

إن الأصولية، كما يجري الحديث عنها ووفق تعريف القواميس ودوائر المعارف الغربية لها، هي ظاهرة غربية نشأت في بداية القرن العشرين، وبالتحديد في الولايات المتحدة الأميركية، بين أوساط بروتستانتية تؤكد على أن الكتاب المقدس مُنزّه عن الخطأ، ليس فقط في قضايا العقيدة والأخلاق، بل أيضاً في كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب، كقصة الخلق وولادة المسيح من مريم العذراء، وعودته ثانية إلى العالم، إلخ. كانت الاصولية تُستَخدَم في ذلك الوقت كتعريف إيجابي للذات، وقد أخذت تكتسب قوة، وتتغلغل في مختلف أوساط الحياة الأميركية، بما فيها الاقتصاد والتعليم والحكم، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وراحت تُعرف ببساطة باسم "اليمين المسيحي" الذي يضم بين صفوفه ما يعرف بـ "المسيحية الصهيونية"؛ وقد استشرى نفوذها في الإدارة الأميركية منذ انتخاب رونالد ريغان رئيساً للولايات المتحدة الأميركية، وأصبحت الآن تملي "بمشاركة كبرى الشركات العملاقة والمؤسسات المالية" السياسات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية، وتحاول منع تدريس موضوع النشوء والتطور في المدارس، وتطالب بالرجوع إلى الكتاب المقدس كدستور للحياة والتقيد بمعناه الحرفي،

**فالتصدع الديني هو أحد أسباب إرتفاع شأن الأصولية اليهودية في إسرائيل. بالاضافة الى كون المضامين الدينية تلعب دورا مؤثرا في نشوء اليمين المتطرف في إسرائيل، فان المسيحانية، التي تطلعت الصهيونية لطمسها، عادت وظهرت بفضل مجموعة قومية-دينية ، خلعت على الصهيونية تفسيرات راديكالية جديدة،**

إلى آخر الأمور التي تنادي بها (Kepel, 1994 ).

يعتقد ايان لوستيك ( ١٩٨٨ ) أن الأصولية كلمة إستعمالها أشيع من تعريفها وهي لا تستعمل حصرًا للدلالة على المبالغة في التدين، ولا للايحاء بصور التعصب أو أساليب التفكير الساذجة، بل لتركيز الإنتباه على ضرب معين من ضروب السياسة، ولا بد لذلك من تعريف الكلمة تعريفًا واضحًا ( Lustick, (1988).

يرتبط التطرف عادة بالانغلاق والتعصب للرأي، ورفض الآخر وكراهيته وازدرائه. والمتطرف، فرداً كان أم جماعة، ينظر إلى المجتمع نظرة سلبية سوداوية، لا يؤمن بتعددية الآراء والأفكار ووجهات النظر، ويرفض الحوار مع الآخر أو التعايش معه ومع أفكاره، ولا يبدي استعداداً لتغيير آرائه وقناعاته، وقد يصل به الأمر إلى تخوين الآخرين وتكفيرهم دينياً أو سياسياً، وربما إباحة دمهم. ويزداد خطر التطرف حين ينتقل من طور الفكر والاعتقاد والتصور النظري، إلى طور الممارسة والتطرف السلوكي، الذي يعبّر عن نفسه بأشكال مادية من أعمال قتل وتفجيرات وتصفيات واستخدام وسائل العنف المادي المختلفة لتحقيق بعض الأهداف. وعادة ما يكون التطرف السلوكي والمادي نتيجة وانعكاساً لتطرف سابق في الفكر والقناعات والاعتقاد.

التشدّد أو التطرّف موجود داخل كل مجتمع وحزب وجماعة، لكن بمستويات نسبية مختلفة، وهذا ما يفسر التصنيفات الشائعة سياسياً لوجود أجنحة مختلفة داخل كل جماعة أو حزب، من متشددين ومعتدلين، صقور وحمائم، محافظين وإصلاحيين. وإذا فشل أي حزب أو جماعة في احتواء وجهات النظر الداخلية المتباينة، ولم تستطع هذه الأطراف التعايش مع بعضها البعض، فإن ذلك يفضي في كثير من الأحيان إلى انشقاقات وانقسامات) (Marty and Appleby,1992; 1993;1994.

يمكن تلخيص أهداف الحركات الأصولية بثلاثة وهي: بناء الإنسان الأصولي؛ بناء المجتمع المحلي (community) الأصولي وبناء المجتمع الأصولي، وعليه تبدأ التغيرات كشخصية ومن ثم كمجتمعية مبشرة بالثورة الأصولية (علي، ٢٠٠٤؛ Ali, 2004؛ 2006).

## التركيب الإثني والطائفي للمجتمع الإسرائيلي

يقوم التشكيل الاجتماعي لإسرائيل منذ تأسيسها على تعددية إثنية نادرة، فقد هاجر اليها مئات الألوف من اتباع الديانة اليهودية من بقاع الأرض بثقافاتهم وأعراقهم المختلفة، ولم يجمع بينهم في البداية سوى الانتماء الديني، وتشكل المجتمع في ارض تملكها أعراق أخرى بل واتباع ديانات أخرى غير اليهودية ، ما تسبب بزيادة هذا التعدد والتنوع الاثني والديني في المجتمع.

يمكن القول أن التعددية الاثنية والدينية في إسرائيل لا تزال تحمل الكثير من المفاجآت في مجال الخلاف والصراع بينها، ولئن نجح النظام السياسي الإسرائيلي القائم على الديمقراطية باحتواء أي تفاقم لهذه الاختلافات والنزاعات فان اندلاع المواجهات وربما المسلحة منها لا يحتاج إلى اكثر من قرار يتخذه زعيم متهور متطرف تفرزه التناقضات الإثنية أو الدينية، خاصة في ظل التزايد المستمر في التوجهات اليمينية داخل المجتمع.

يتفق علماء الاجتماع على أن الثقافة القومية الموحدة ليست قائمة في المجتمع الإسرائيلي. فهذا المجتمع يشتمل ، شأنه شأن غالبية المجتمعات الحديثة ، على مجموعات إثنية أو طائفية مختلفة ، ونجم تنوع المجموعات الإثنية من كون دولة إسرائيل مجتمع ما بعد استعمار، ومجتمع مهاجرين .

يصف بعض علماء الإجتماع المجتمع الإسرائيلي على أنه مجتمع تعددي (pluralistic) والمجتمع التعددي هو المجتمع الذي يشتمل على عدة جماعات إثنية كبيرة متميزة عن بعضها البعض لكنها متداخلة في نفس الجهاز السياسي والاقتصادي نفسه .

يسود التوتر، والصدامات الثقافية المتواصلة، العلاقات بين الجماعات الإثنية في إسرائيل لذلك يسمي علماء الإجتماع هذا المجتمع "مجتمع متصدع" يذكر ليسك وهوروفيتس (Horowitz and Lissak,1989) أن هنالك خمسة تصدعات أساسية في المجتمع الإسرائيلي وهي: التصدع القومي ( يهود–عرب ) ؛ التصدع الديني (متدينون–علمانيون)؛ التصدع الطائفي ( يهود شرقيون– يهود غربيون )؛ التصدع الطبقي ( أغنياء– فقراء ) و التصدع الأيديولوجي ( يمين–يسار).

على الرغم من أن غالبية علماء الإجتماع ينظرون إلى التصدع القومي على أنه أخطر التصدعات، إلا أننا نعتقد أن التصدع الديني هو أخطرها، وذلك لاعتقادنا أن الهوة بين المتدينين المتشددين وبين العلمانيين الأيديولوجيين غير قابلة للتجسير، فالتصدع الديني هو أحد أسباب إرتفاع شأن الأصولية اليهودية في إسرائيل. بالاضافة الى كون المضامين الدينية تلعب دورا مؤثرا في نشوء اليمين المتطرف في إسرائيل، فان المسيحانية، التي تطلعت الصهيونية لطمسها، عادت وظهرت بفضل مجموعة قومية–دينية، خلعت على الصهيونية تفسيرات راديكالية جديدة، مع أنه من المؤكد ان ذلك لا يقلل من حجم الخطر الناجم عن تبلور وعي قومي متعصب لدى أوساط دينية عديدة في دولة إسرائيل ( Ali, 2004')

لا خلاف في ان العقود الأخيرة شهدت تحولا تدريجيا لغالبية جمهور المتدينين نحو المواقف اليمينية، من خلال تقارب متواصل وثنائي الاتجاه بين أوساط الصهيونية المتدينة و "الحريديم".

تعززت هذه العملية في إعقاب "عملية السلام" و مقتل رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين، فقد كانت غالبية المتظاهرين في مظاهرات اليمين بعد أوسلو متدينة، وانحصر التجديد في مشاركة أوسع نسبيا ل "الحريديم"، وان كان ذلك من مجموعات معينة.

إن التوتر المتزايد في العلاقات بين اليهود المتدينين، المتشددين منهم، وبين اليهود غير المتدينين، العلمانيين منهم، بشكل خاص، أدت الى تفجر مشاعر قلق لدى كثير من الإسرائيليين والى تفاقم التصدع الديني الذي اتجه نحو العنف في أكثر من مناسبة وخاصة في القدس الغربية، إحدى أهم معاقل اليهود المتدينين والحريديم، والتي يرأس بلديتها اليوم "حريدي" متزمت دينياً.

يستدل من استطلاع للرأي العام اجري بطريق الصدفة بين مجموعة من اليهود في القدس مؤخرا أن(٥٨٪) يعتبرون إن العلاقات بين المتدينين والعلمانيين أخطر مشكلة تواجه الدولة مقابل (٢٣٪) يرون إن العلاقات بين اليهود والعرب هي المشكلة الأشد خطرا، ووصف غالبية الإسرائيليين في الآونة الأخيرة العلاقات بين اليهود المتدينين واليهود غير المتدينين بأنها "سيئة" وأشار

**في إسرائيل اليوم من المفيد التمييز بين الشعور القومي الخلاصي المسيحاني الذي يؤمن بخلاص الشعب اليهودي ويعمل من أجل ذلك، وهو فعال جدًا في السياسة الإسرائيلية، ويميز بالذات جماعات غوش إيمونيم (جماعة المؤمنين ) والتي تعتبر وبصدق أحد أهم آليات التعبير عن الأصولية اليهودية، وبين جماعات الحريديم ( الورعين أو المتزمتين دينيًا ) الذين يعبر غلوهم في التمسك بالشرائع عن توجههم نحو الصلوات، والذين تؤدي مقتضياتهم من حيث هم جماعة إلى انعزالهم عن صلب التيار الإجتماعي والسياسي .**

حوالي(٢٥٪)من السكان اليهود في إسرائيل إلى احداث "غير ايجابية "مصدرها اليهود المتدينون . وتحدث(٦٨٪) في بحث أعد في أواخر الثمانينيات عن انطباعات غير ايجابية تكونت لديهم تجاه يهود متدينين .(ليبمان، ١٩٩٩). واظهر استطلاع آخر للرأي أجرته جمعية "غيشر– جسر" في الذكرى السنوية لمقتل رابين على عينة مكونة من ٥٢٨ مستطلعاً يشكلون شريحة اليهود البالغين المتحدثين بالعبرية في إسرائيل، أظهر أن اليهود المتدينين هم أكثر فئة مكروهة لدى عامة اليهود)حسبما أجاب بذلك ٣٧٪ من المستطلعين)، كما يحتلون المكان الأخير بحسب تدريج الفئات بموجب عطائها للمجتمع الإسرائيلي) حسبما أجاب بذلك ٧,٧٪. من المستطلعين) (عـرب ٤٨) (٢٠٠٦/١٠/١).

## الأصولية اليهودية

الكتب والدراسات حول الأصولية الإسلامية كثيرة جدا وخاصة بعد انتصار الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٨ وازدادت وتيرة الكتب والدراسات بشكل ملحوظ جدا بعد أحداث ١١ أيلول في الولايات المتحدة، ولكن القليل جدا خارج إسرائيل يعرف عن الأصولية اليهودية، برغم أنها لا تختلف عن غيرها من الأصوليات في سماتها العلمية والاجتماعية، وبرغم خطورتها ونفوذها في إسرائيل والولايات المتحدة، وقد وصلت خطورتها إلى درجة اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحق رابين (مناف علاء ٢٠٠٥؛ لوستيك، ١٩٨٩؛ Lustick, 1988 ؛ علي، ٢٠٠٦)

تركز البحث في الأساس حول "الحريديم الإشكناز" وحركة "غوش إيمونيم" ولكن علينا أن نذكر أن هنالك اهتمامًا ما في هذه الأصولية بعد اغتيال رئيس حكومة إسرائيل اسحق رابين سنة ١٩٩٥ على يد متدين أصولي ينتمي للأصولية المسيحانية .

في منتصف الثمانينيات وبعد أن ألقت السلطات الأميركية القبض على جوناثان بولارد بتهمة تجسسه لصالح إسرائيل، قام برنامج البحوث الدفاعية الأكاديمي التابع لوزارة الدفاع الأميركية بتمويل دراسة عن تنامي ظاهرة التطرف الديني في إسرائيل وتأثيراتها الإستراتيجية. وخلصت الدراسة إلى نتيجة صريحة وهي: إذا ما قدر للمتطرفين اليهود المرتبطين بحركة غوش ايمونيم والجناح المتنامي من غلاة القوميين اليهود داخل الجيش أن يستحوذ على السلطة، فإن "إسرائيل معارضة مبدئياً للحل السلمي التفاوضي ومدفوعة بالنبوءات والنوازع الخلاصية وتمتلك ترسانة معقدة من الاسلحة النووية، ستشكل تحديات كبرى للسياسة الخارجية الاميركية والمصالح الاميركية بشكل لايقل في تأثيره عن تلك التي نتجت من الثورة الاسلامية في إيران." وقد اجرى الدراسة الباحث ايان لوستيك (١٩٨٨).

وكان السيناريو الاخف وقعاً برأي لوستيك هو حرب دينية مشابهة لحرب الثلاثين سنة (١٦١٨-١٦٤٨) التي دارت في أوروبا، وأسوأ التقديرات هو اندلاع حرب عالمية ثالثة نووية.

في إسرائيل اليوم من المفيد التمييز بين الشعور القومي الخلاصي المسيحاني الذي يؤمن بخلاص الشعب اليهودي ويعمل من أجل ذلك، وهو فعال جدًا في السياسة الإسرائيلية، ويميز بالذات جماعات غوش إيمونيم (جماعة المؤمنين ) والتي تعتبر وبصدق أحد أهم آليات التعبير عن الأصولية اليهودية، وبين جماعات الحريديم ( الورعين أو المتزمتين دينيًا ) الذين يعبر غلوهم في التمسك بالشرائع عن توجههم

**أعتقد أن حركة "شاس" التي تمثل اليهود الشرقيين هي أيضًا حركة حريدية أصولية، وذلك لمشاركتها أخواتها الاشكنازيات في معاداة العلمانية والتعنت وحب المواجهة، إلا أن موقفها من الصهيونية ومن الإنعزالية يختلف بعض الشيء عن الحريديم الإشكناز في إسرائيل.**

نحو الصلوات، والذين تؤدي مقتضياتهم من حيث هم جماعة إلى انعزالهم عن صلب التيار الإجتماعي والسياسي .

وتجد الأصولية في إسرائيل أشد تعبيراتها قوة في ما يسمى المسيحانية المسيسة التي تحرك اليهود الناشئين في ظل الجناح الديني القومي الأرثوذكسي المحدث من الحركة الصهيونية، فالحركة القومية الدينية أو المزراحي وخلافًا للحريديم لا تزال تسعى لدمج الإمتثال شبه التام بأوامر الهلاخا ( الشريعة الدينية) ونواهيها، مع المشاركة التامة في مجتمع صهيوني حديث ، فعمل هذه الفئة في السياسة يجعلها أصولية حسب لوستيك، ومن هنا في حديثه عن الأصولية اليهودية يقصد في الأساس غوش إيمونيم والحزب القومي الديني ( مفدال ) الذي يعتبره الذراع السياسي للأصولية الدينية .

ويؤكد اسرائيل شاحاك وجيف هالبر وبيير تريستام بأن الأصولية، بمعنى العدوانية والتعصب الشديد ومعاداة التقدم والرغبة في العودة إلى تعاليم وقيم ومفاهيم قديمة، وممارسة تمييز متطرف ضد غير اليهود (الذين يُطلق عليهم اسم "الأغيار" في الديانة اليهودية) لا وبل اضطهادهم ومعاداتهم، هي من الصفات الملازمة لدولة إسرائيل وسياساتها، التي تحظى بتأييد مطلق من القوى المسيحية الأصولية ذات النفوذ الواسع والمتنامي في الولايات المتحدة الأميركية (شاحاك، وتريستام وهالبر،٢٠٠٦).

أما بيير تريستام، فيناقش بعمق تأثير الأصولية على سياسة الإدارة الأميركية الحالية، وتشكيلها لنظرة صناع السياسة والقرار

المتزمتون اليهود: مشاركة عالية في الحياة السياسية.

في الولايات المتحدة الأميركية، لا سيما فيما يتعلق بتطلعات الشعوب في الشرق الأوسط إلى الحرية والتقدم. (شاحاك، وتريستام وهالبر،٢٠٠٦)

إيهود شبرنساك (١٩٨٦) يعتبر الأصولية الصهيونية أشد القوى الإجتماعية والثقافية حيوية في إسرائيل.

أما فريدمان (١٩٨٩) فانه يرى في الأصولية الحريدية الاشكنازية ردة فعل من قبل اليهود المتدينين في شرق أوروبا للتهديدات عليهم من قبل حركات التنور، وإبتعاد الشباب والشابات عن الدين، وبعد ذلك كرد فعل على نمو الصهيونية ( فريدمان ، ١٩٨٩ ؛ علي ، ٢٠٠٦) .تمتاز هذه الأصولية بالعدائية، بالتعنت ، بحب المواجهة ، بمعارضة متطرفة للعلمانية ، بإنعزالية وبإنزواء من البيئة. يدعي فريدمان (١٩٨٩؛ ١٩٩١) أن السمات الأساسية للأصولية اليهودية وخاصة الحريدية الأشكنازية، تقليدية محدثة، مظاهرها إلتزام بتعاليم التوراة ، تشدد ديني وعدائية للصهيونية .

اما الباحث بشير (٢٠٠٦) فيدعي ان المجتمع الحريدي يتميز في إسرائيل بعدة خصوصيات تغطي الديني والثقافي والاجتماعي والعقائدي. وتنبع نظرة الحريديم للثقافة من نظرتهم الشاملة إلى التراث الديني والكتاب المقدس، المحتوي باعتقادهم على كل علم وثقافة ممكنة، ولا يعتقدون بأن هناك ضرورة للانفتاح على ثقافات الديانات والحضارات الأخرى. بالإضافة إلى اعتقادهم الراسخ بأنه لا يمكن النظر إلى تاريخهم بالرغم من التطورات والمستجدات العصرية إلا من خلال مؤشرات وسمات فوق ـ تاريخية، تكمن في صميم التراث الديني المقدس. فعلى الصعيد الديني، يتبنون التفاسير الأكثر مغالاة وصرامة، ويتقيدون بالاختيارات الأكثر تشدداً من ناحية العبادات والتعاليم الدينية، وإن لم يعثروا عليها فإنهم يبدعونها حسب قاعدة (الصرامة والعسر) لا (التسامح واليسر) مما يلزمهم بالانعزال عن اليهود غير المتقيدين بالتعاليم الدينية بحذافيرها.

اما على الصعيد الاجتماعي، فهم يعدون أنفسهم النخبة الاجتماعية والمثال الأعلى الواجب على جميع اليهود الاحتذاء به، رغم أنهم في حقيقة الأمر مجتمع فقير اقتصادياً، منغلق على نفسه اجتماعياً في أماكن سكناه. في حين نلاحظ في مواقفهم العقائدية عدم تضامنهم مع العقيدة الصهيونية، وهم بشكل عام ـ مع التمييز بين عدة تيارات وفئات ـ ما زالوا ينتظرون مجيء المشيّاح (المسيح اليهودي المنتظر) الذي سيأتي ويخلصهم من متاعب الحياة الدنيا ويقيم ويحقق "مملكة الرب" على الأرض، وستمتد مملكته إلى السماء، رغم أن هناك قناعات عديدة داخل هذا المجتمع تفسر المشياح ليس بوصفه شخصية بشرية، أو ذات صفات إلهية، وإنما فكرة أو مجازا لحالة التحرر من القيود ومن استعباد الشعوب الأخرى لهم.

بالإضافة إلى هذه التصنيفات أعتقد أن حركة "شاس" التي تمثل اليهود الشرقيين هي أيضًا حركة حريدية أصولية، وذلك لمشاركتها أخواتها الاشكنازيات في معاداة العلمانية والتعنت وحب المواجهة، إلا أن موقفها من الصهيونية ومن الإنعزالية يختلف بعض الشيء عن الحريديم الإشكناز في إسرائيل ، مميز آخر لحركة "شاس" هو أنه بخلاف الحركات الإشكنازية التي كان نشوؤها في أوروبا كردة فعل على العلمانية والتنور والعداء المتطرف للدين، نجد أن حركة "شاس" حركة إسرائيلية المولد والمنبت .

هنالك ثلاثة أبعاد لإزدياد قوة الأصولية الدينية في إسرائيل، تتمثل في: أولا، رجوع مكثف للدين، وتنامٍ متعاظم في المؤسسات الدينية ، ثانيًا، ارتفاع في تمثيل الحريديم في الكنيست وفي الحكومة، وثالثًا، إزدياد في التشريع الديني ( علي ،٢٠٠٦ ؛ كركوتسكين وسيجيف ، ٢٠٠١ ؛شلشيج ، ٢٠٠٠ ؛ بيليج ، ١٩٩٧ ؛ أران ، ١٩٨٧ ) .

## إسقاطات الاصولية اليهودية

في كتابه (البندقية وغصن الزيتون) يدعي ديفيد هيرست (٢٠٠٣): ان جذور العنف في الشرق الأوسط تعود *للأصولية اليهودية المتطرفة» ويعتبر أن تجاهل الغرب لمخاطرها هو ممارسة للمعايير المزدوجة، خصوصاً وأن الغربيين طالما حاربوا الأصولية الإسلامية واعتبروها عدواً احتل محل الشيوعية. ويحذر هيرست من أن خطر الأصولية اليهودية لا يقتصر على المسرح الداخلي في الدولة العبرية، وإنما يتجاوزها إلى العالم الرحب لأن *إسرائيل» تملك أسلحة دمار شامل تستطيع إيصالها إلى أي بقعة في العالم.

وترى كارين آرمسترونج أن اليهود كانوا أول من أقبل على التطرف الديني، لأنهم عانوا أزمة عدم العدالة الاجتماعية، ووجدوا أن مدنية العصر الحديث هي السبب وراء اضطهادهم ومعاناتهم، فهم بكل ما يحملونه من خرافات دينية وأساطير، لم يعودوا مقنعين لعقلية عصر العلم والتكنولوجيا، وهم مع شعورهم بالدونية الذي

**رغم هذه المواقف المتزمتة ، تتمتع غوش إيمونيم باحترام كبير في أوساط اليهود اليمينيين، فعلى سبيل المثال، عارضت غوش إيمونيم بشدة تحالف شارون في ١٩٨٢ مع حزب الكتائب اللبناني، بحجة أن اتباعه مسيحيون، ومن ثم فهم "وثنيون" (من المهم ان ننوه الى ان المتدينين اليهود على كافة انتماءاتهم، لا يعترفون بالديانة المسيحية على انها دين موحد، لأن المسيحيين يؤمنون بالاب والابن والروح القدس.**

عاصروه على يد المجتمع المتدين، الذي يؤمن بالنصرانية الغربية في نهاية القرن الخامس عشر، دفعوا إلى ضرورة استخراج مخزونهم من الحيل البارعة والمبادئ الدينية والخرافات والأساطير للحصول على حقوقهم المهضومة على يد الغرب النصراني، ولقد استمروا في إخراج وتدوير هذا المخزون لسنوات، حتى أصبح فيما بعد حقيقة مقنعة للغرب إلى حد ما، وممارسات شائعة في العالم الحديث، واتجاهات نحو المزيد من التطرف الديني، ولإخضاع العقل لسيطرة الدين. وعلى الرغم من محاولات بعض الأحبار والمفكرين اليهود إبعاد تهمة التطرف الديني الإرهابي عن أبنائهم وشعبهم، إلا أن بعض المفكرين حاولوا أن يكونوا أكثر صدقا وموضوعية في رصد ملامح الطفرة الكبيرة التي حدثت في النمو الأصولي الإسرائيلي المتطرف خلال السنوات الأخيرة، والذي ظهر جليا في المواقف الواضحة ضد عملية السلام، والذي لعب دورا رئيسيا في اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق رابين، وقتل٢٩ مسلما أثناء الصلاة على يد المتطرف اليهودي أميركي المولد، باروخ غولد شتاين.

يشير إسرائيل شاحاك، ونورتن مينرفنسكي، إلى أن المناصرين للأصولية اليهودية في إسرائيل يقاومون العدالة الاجتماعية والمساواة، التي هي من حق جميع المواطنين خاصة ( غير اليهود)، ويشيران إلى الدراسة التي قام بها عالم الاجتماع اليهودي، باروخ كيميرلنغ والتي قال عن نتائجها: إن قيم الدين اليهودي على الأقل في جانبه الأرثوذكسي والقومي الذي ينتشر في إسرائيل الآن لا يمكن أن تتماشي أو تنسجم مع قيم الديمقراطية. ولا توجد أي متغيرات لا قومية أو قيمية اجتماعية أو اقتصادية أو تعليمية، يمكنها أن تؤثر على السلوك الذي يتبناه اليهود الإسرائيليون ضد الديمقراطية، خاصة هؤلاء اليهود من المفرطين في التدين. ويظهر المؤلفان، قلقهما المتزايد تجاه هذه الميل . بصفة خاصة . الذي يظهره المتطرفون اليهود، ويعبرون به عن ازدراء تام تجاه كل من هو غير يهودي، ويسجلان ما قاله الحاخام الأكبر كوك: إن الفرق بين روح اليهودي وروح غير اليهودي، هو أعظم وأعمق من الفرق بين روح الإنسان وروح الماشية. إن تعاليم الحاخام الأكبر كوك، تتبع وتمارس بإخلاص وورع من قبل اليهود قادة وكوادر حركة المستوطنات في الضفة الغربية المحتلة معتمدين على الـLaurianic Cabbala ليوريانك كابالا أو مدرسة التصوف الديني التي سيطرت على اليهودية في أواخر القرن السادس عشر وحتى بدايات القرن التاسع عشر، فكما يكتب المؤلفان إن واحدة من المعتقدات الرئيسية في مدرسة التصوف، هي مركب الاستعلاء التام للروح والجسم اليهوديين، على الروح والجسم لغير اليهود، حيث إن الكون قد صنع كلية من أجل اليهود، وكان اليهود في البدء، ثم جاء خلق غير اليهود بعد ذلك كأمر ثانوي. ويشير المؤلفان إلى أن الحبر الأعظم ميناحيم مندل سكيزسون، الذي ساند دوما الحروب الإسرائيلية، وعارض أي تراجع من قبل إسرائيل، ففي عام١٩٧٤ عارض انسحاب إسرائيل من منطقة السويس، فوعد إسرائيل بثواب الهي إذا استمرت في احتلال أرض الميعاد، وبعد موته قام الآلاف من اتباعه بلعب دور رئيسي في فوز بنيامين نتنياهو بالانتخابات، من هؤلاء الأتباع ظهر الحاخام إسحق كينسبرغ، الذي كتب فصلا في كتاب له عن الثواب والجنة الموعودة التي سوف ينعم بها غولد شتاين . قاتل المصلين الفلسطينيين في الحرم الابراهيمي في الخليل نتيجة لعمله. الحاخام كنيسبرغ الذي هاجر إلى إسرائيل قادما من الولايات المتحدة تحدث بحرية عن علو الجينات اليهودية وسمو الروح اليهودية، فيقول في إحدى كتاباته: إذا شاهدت شخصين يغرقان أحدهما يهودي والآخر غير يهودي،

**كتب الحاخام شلومو أفينر يقول: يجب علينا أن نعيش في هذه الأرض حتى وإن كان الثمن هو نشوب حرب، بالإضافة إلى ذلك، حتى وإن قام السلام، يتعين علينا أن نحرض على قيام حروب تحرير حتى نغزو (هذه الأرض) ". لابد أن نتذكر أنه بالنسبة لغوش إيمونيم لا تزال سيناء ولبنان (وأماكن أخرى كثيرة) بحاجة لأن تُحَرَّر.**

فإن التوراة تأمرك أن تنقذ اليهودي، إن كل خلية في جسم اليهودي، جزء من الله، لذا فإن هناك تركيبة خاصة للحامض النووي اليهودي تختلف عن بقية البشر. ويؤكد المؤلفان أن المتطرفين اليهود، يؤمنون بأن الله قد منح الكون كله والأرض كلها لليهود، وأن إسرائيل هي جزء من هذه الأرض وقد تشمل لبنان ودولا أخرى، وأن العرب الذين يعيشون الآن على أرض إسرائيل هم لصوص، ويؤكد هذا السياق الحاخام إسرائيل أريئيل، وهو زعيم أصولي يهودي نشر أطلساً يوضح حدود الأرض التي على اليهود أن يحصلوا عليها وأن يحرروها من اللصوص، وتتضمن جميع الأراضي في غرب وجنوب نهر الفرات ممتدة نحو سورية وتشمل أيضا العراق والكويت. ويقول الحاخام شلوم آفينر، " علينا أن نعيش على هذه الأرض بأية طريقة، حتى ولو كانت الحرب والقتل، وحتى لو كانت هناك معاهدات سلام، فإن علينا أن نحرض على قيام الحروب لتحرير أرضنا من المغتصبين العرب " (Shahak and Mezvinsky, 1999) .

## أيديولوجية المسيحانية اليهودية

تعود الأصول الأيديولوجية لحركة غوش أيمونيم إلى عشرينيات القرن العشرين، فقد أسسها الحاخام أبراهام اسحق كوك، كبير حاخامي فلسطين، وأشد المؤيدين للصهيونية في الأوساط الحاخامية، واعتبره أتباعه بأنه يستلهم الوحي المقدس، وعومِل بالقداسة نفسها ابنه تسفي يهودا كوك ، وأصبح أتباعه طائفة من الطوائف اليهودية الأرثوذكسية بكل ما تعنيه الكلمة، وفي عام ١٩٧٤، شكلت هذه الطائفة ذراعاً سياسياً لها هو غوش إيمونيم، وعقب وفاة تسفي يهودا كوك تحولت القيادة الروحية للطائفة التي تسيطر على الزعامة السياسية إلى " مجلس حاخامين " ، أو " مجلس أحبار " يجري اختيار أعضائه من بين الأتباع، وفق معايير غامضة، وترجع المعتقدات المُجَدِّدَة لتعاليمهم الدينية إلى تفسير للصوفية اليهودية (القَبَلانية) (شاحاك، ٢٠٠٣).

تؤمن حركة غوش إيمونيم بتفسير لاهوت الحاخام أبراهام اسحق كوك الذي يؤمن بالأُخرويات – البعث والحساب– وهو مسيحاني ، وهو من تلك الزاوية، يفترض قرب عودة المسيح، عندما ينتصر اليهود بمساعدة الله، على الأغيار(غير اليهود) ويحكمونهم إلى الأبد (لمصلحة الأغيار)، وبالتالي فإن كل التطورات السياسية الجارية يمكن أن يُفسِّرها العالمون (أي زعماء الطائفة) على أنها تؤدي إلى تقريب هذه النهاية، أو تأجيلها، ويمكن بالتحديد لخطايا اليهود، لا سيما الافتقار للإيمان (وهو أسوأ الخطايا) أن يؤجل مجيء المسيح، لكن لفترة ليست طويلة ، فحتى أسوأ خطايا اليهود لا تستطيع تغيير مسيرة المُقَدَّر والمكتوب للخلاص من الخطيئة، كل ما تستطيع عمله هو زيادة الآلام التي تحل مسبقاً بالشعب اليهودي.

يتعلق التجديد أو الابتكار الثاني بعلاقة المسيح الأول باليهود الجهلة وغير المؤمنين، يستمد مبدأ الحاخام أبراهام إسحق كوك في هذا الموضوع من النبوءة في الكتاب المقدس، حيث أن المسيح الذي سيجلب الخلاص سيكون " راكباً على حمار وعلى جحش بْنِ أَتانٍ " (زكريا، الإصحاح التاسع، الآية ٩). اعتبر هذا النص في القبلانية (الكاباالاة) بأنه دليل على أنه سيكون هناك مسيحان ، الأول يركب حماراً، والثاني يركب جحشاً، ولكن الحاخام أبراهام إسحق كوك واجه مشكلة: كيف يمكن لمسيحين " جمع مسيح " أن يركبوا على حمار واحد ؟ حل الإشكالية بمماهاة الحمار باليهود العلمانيين والذين لا يعبأون بالدين، فالمسيح الجامع المشترك سيمتطيهم، مما يعني أنه سيستغلهم للحصول على مكاسب مادية، بينما في الوقت ذاته سيخلصهم من خطاياهم، على الأقل إذا كانت لديهم القدرة على أن يُنقذوا من الخطيئة، وتماماً كما هو الحمار المسيحاني – الذي هو في أسفل مراتبية الوجود – جاهل ويجب أن يظل هكذا فيما يتعلق

**إن المواطنين اليهود في الدولة متوافقون على أن إسرائيل يجب أن تكون "دولة يهودية"، ولكن التفسيرات العملية لهذا المفهوم تختلف اختلافاً كبيراً**

بهدف راكبه الموحَى إليه بشكل مقدس، فإن غوش إيمونيم ذات أهمية أكثر من بقية الأمة اليهودية بفضل إمكانية حصولها الحصرية على الحقيقة المقدسة، لتقود راكب الحمار نحو الخلاص: وفي ظل هذا الهدف النبيل، يمكن للراكب أيضاً أن يضرب الحمار بعض ضربات ليتأكد من أنه– أي ألحمار– لن يحيد عن الطريق– وبهذه الطريقة يتعين على غوش إيمونيم أن تتعامل مع اليهود الذين يشبهون الحمار، العنيدين إلى حدّ رفض التخلي عن عاداتهم واهتماماتهم التي تشبه عادات الحيوانات، وتبني الإيمان الحقيقي.

يتطابق هذا التحليل تماماً مع ما كتبه رخليفسكي في كتابه " حمار المسيح " الذي يصف فيه حجم النفوذ والتأثير الهائل الذي تتمتع به اليهودية المسيحية السياسية، التي تتمثل في المستوطنين، على أسس دينية قومية، ودور المستوطنين من الناحية السياسية، وخصوصا في مجال القدرة على تهيئة الظروف من أجل اتخاذ المواقف المتطرفة والحاسمة على غرار اغتيال رابين، والمتدينين من الناحية الايديولوجية السياسية داخل المؤسسات الاسرائيلية وعلى قطاعات المجتمع من الناحية العملية المتمثلة بسيطرة رجال الدين وانتشار ظاهرة المسيحية الدينية في اسرائيل.

رغم هذه المواقف المتزمتة ، تتمتع غوش إيمونيم باحترام كبير في أوساط اليهود اليمينيين، فعلى سبيل المثال، عارضت غوش إيمونيم بشدة تحالف شارون في ١٩٨٢ مع حزب الكتائب اللبناني، بحجة أن اتباعه مسيحيون، ومن ثم فهم " وثنيون " (من المهم ان ننوه الى ان المتدينين اليهود على كافة انتماءاتهم، لا يعترفون بالديانة المسيحية على انها دين موحد، لأن المسيحيين يؤمنون بالاب والابن والروح القدس. فاذا كانوا غير موحدين، من وجهة نظر المتدينين اليهود، فهم بالضرورة كفرة ووثنيون)، فغوش إيمونيم تؤمن بوجوب اعتماد اليهود في هذا العصر المسيحاني على مساعدة الله وحده في غزواتهم، وأن التحالف مع الكفرة قد يكون محفوفاً بخطر أن يمتنع الله عن المساعدة كعقاب، والطبيعة التدميرية لمثل هذه المعتقدات قد اتضحت تماماً خلال استجواب أحد أعضاء مجموعة سرية يهودية ألقى " الشاباك " القبض عليه متلبساً وهو يضع قنابل تحت حافلات عربية، ويخطط لتدمير المسجد الأقصى، وكما فسر الرجل لمن حققوا معه: " إن تدمير المسجد الأقصى سيُثير مئات ملايين المسلمين في العالم أجمع، وسيؤدي غضبهم إلى حرب، ستتطور على الأرجح إلى حرب عالمية، وسيكون عدد الضحايا في مثل هذه الحرب هائلاً للغاية، بحيث يدعم عملية إنقاذ اليهود من خطاياهم وكذلك أرض إسرائيل. عندئذ سيتم القضاء على كل المسلمين، مما يعني أن كل شيء سيكون معداً لمجيء المسيح. "

إن النتيجة العملية للاهوت غوش إيمونيم هي تأثيرها على تصرفات السلطات الرسمية في الاراضي الفلسطينية المحتلة، وعلى قطاعات واسعة من المجتمع اليهودي في إسرائيل وفي الخارج على حدّ سواء، ويعالج هاركابي هذا الموضوع بأمانة، فينقل بإسهاب عن الحاخام شلومو أفينر والحاخام تسفي يهودا كوك والحاخام أريئيل، وثلاثتهم يُعَرِّفون جميع العرب الذين يعيشون في فلسطين بأنهم لصوص، بما أن الأرض كانت يهودية في يوم من الأيام، فإن جميع الممتلكات التي توجد على هذه الأرض، تعود " في الحقيقة " إلى اليهود. ولهذا المبدأ تطبيقات مريعة أخرى تشير إليها عناوين الأجزاء في مناقشة هاركابي لليهودية القومية، وهي: " من الطرد إلى الإبادة "؛ " مكانة الأغيار تحت الحكم الإسرائيلي "؛ " الأجنبي المقيم "؛ " الوثنيون "؛ و" عندما تكون إسرائيل أقوى من الأمم ". ولكن دعوني أنقل ملاحظة واحدة وجدتها تتمتع ببصيرة خاصة: " إن دعاة وجهة النظر القائلة [أن إسرائيل بسبب مساعدة الله هي أقوى من جميع الأمم الأخرى] يؤمنون بأن إسرائيل يجب ألاَّ تخاف من أي حروب في المستقبل، وبإمكانها أن تؤدي الى نشوب كل الحروب كما تشاء، وقد كتب الحاخام شلومو أفينر يقول: يجب علينا أن نعيش في هذه الأرض حتى وإن كان الثمن هو نشوب حرب، بالإضافة إلى ذلك، حتى وإن قام السلام، يتعين علينا أن نحرض على قيام حروب تحرير حتى نغزو [هذه الأرض] ". لابد أن نتذكر أنه بالنسبة لغوش إيمونيم لا تزال سيناء ولبنان (وأماكن أخرى

**قمة هذه القناعات كانت من خلال المدرسة التي تتمثل بالحاخام كوك واتباعه الذين يروا في العلمانيين "حمار المسيح"، حمارا بكل معنى الكلمة، عليه يركب المسيح الديني الروحي بعد ان ينتهي العلمانيون من بناء الدولة المادية، ليأتي دور المتدينين في السلطة والحكم من أجل انتاج الدولة الروحية المسيحية واقامة مملكة الله على الارض.**

كثيرة) بحاجة لأن تُحَرَّر.

ثمة نقاش أقل إثارة وعمقا لموضوع الحرب الأهلية المحتملة، قام به عالم بارز في علم الاجتماع في إسرائيل هو باروخ كيمرلينغ، إنه يسلم بأن اتفاقية مع منظمة التحرير الفلسطينية يعقبها إخلاء بعض المستوطنات أمر وشيك، ولكن "ليس من المنطقي توقع أن إجلاء المستوطنات يمكن أن يمر دون حدوث مقاومة عنيفة للغاية، على الأقل بين بعض المستوطنين اليهود في المناطق المحتلة، إلى حد التطور إلى حرب أهلية كاملة، أو في أفضل الأحوال الاقتراب من مثل هذه الحرب، ففي ظل هكذا ظروف سيقوم بعض المستوطنين مع مؤيديهم في إسرائيل ...بمقاتلة كل من الفلسطينيين (كما يفعلون الآن) والسلطات الإسرائيلية التي لن يكون أمامها خيار سوى الرد بعنف مضاد، وليس من المؤكد أنه في ظل هكذا ظروف سيقف الجيش كله ، إلى آخر رجل فيه، إلى جانب الحكومة المنتخبة، كما أنه ليس من الواضح أي من الجانبين سيكون له سلطة أكثر على أتباعه، لا سيما الفئات الهامشية بين أولئك الأتباع، وبما أن هذا قد حدث عند أمم أخرى، فليس هناك أسس تحملنا على التسليم بأنه لا يمكن أن يحدث عندنا".

ويستطرد كيمرلينغ قائلاً: "قد يبدو غريباً القول إن حرباً أهلية ربما تندلع في إسرائيل، ليس بالضرورة بسبب الانسحاب من الأراضي المحتلة ... ربما يكون الانسحاب عاملاً له وزنه، كعذر مقبول ومقنع يتيح للطرفين تجنيد مؤيدين، ولكن من غير المحتمل أن يكون أصل المشكلة، فالانقسام لن يكون بين "الحمائم" و"الصقور"، أو بين اليمين واليسار...إن القضية الأساسية التي يمكن أن تندلع الحرب الأهلية بسببها هي قوانين اللعبة التي تحدد هويتنا المشتركة... إن المواطنين اليهود في الدولة متوافقون على أن إسرائيل يجب أن تكون "دولة يهودية"، ولكن التفسيرات العملية لهذا المفهوم تختلف اختلافاً كبيراً، فمن ناحية ، إن غالبية المواطنين اليهود على استعداد للاعتراف بأن بعض عقائد التقاليد والديانة اليهودية ملزمة ، وأن يتحملوا بعض الأعباء الملازمة لذلك الاعتراف، مثل قوانين الزواج الديني، باعتبارها رموزا توحد القومية اليهودية، بالطريقة نفسها التي تصورتها الصهيونية العلمانية، ومن الناحية الأخرى، فإن المعسكر المقابل يفسر اعتبار "دولة يهودية" بأنها دولة دينية تدار وفق مبادئ اليهودية الأرثوذكسية."

## خلاصة

بينما ينشغل العديد من الساسة ووسائل الإعلام في الغرب بمناقشة الأخطار الحقيقية أو المفترضة للأصولية الإسلامية، بالكاد يتحدث أحد عن الأصولية اليهودية التي تنمو وتترعرع في إسرائيل، وحتى إلى حد أكبر في الولايات المتحدة الأميركية والتي تتمثل بحركة غوش ايمونيم وليس بها فقط .

للأصولية اليهودية وخاصة المسيحانية منها أبعاد وإسقاطات على كثير من دوائر العلاقات في إسرائيل وخارجها، فهي تؤثر ليس فقط على نسيج العلاقات داخل الدولة في إسرائيل، بل أيضاً تؤثر على علاقات إسرائيل الخارجية، فهي تلتقي في إيديولوجيتها مع الأصولية المسيحية واليمين المتطرف المسيحي في الولايات المتحدة لتشكل هذه القوى الثلاث "لوبي" ضاغطا ومبلورا للسياسة الخارجية الأميركية تجاه الشرق الأوسط، بل وأيضاً تؤثر بحدة على علاقة إسرائيل بالعالم العربي بشكل عام والفلسطيني منه بشكل خاص. أما من ناحية تأثيرها الداخلي فهي تؤثر على طبيعة العلاقات بين العلمانيين والمتدينين في المجتمع الإسرائيلي، بل وتؤثر كذلك على طبيعة علاقات دولة إسرائيل بمواطنيها الفلسطينيين. بالإضافة إلى كل ذلك فان تعنتها واستعلاءها وشرعنتها لاستعمال العنف يؤثر على جميع الدوائر مجتمعة.

نجد في الدائرة الاسرائيلية ان أهم إنجاز لحركة غوش إيمونيم

هو تأثيرها الواسع على الثقافة اليهودية الإسرائيلية وعلى الهوية المشتركة التي أصبحت مفاهيمها إثنية التركيز أكثر فأكثر مع مرور الزمن ". وان وعلى عكس الانطباع السائد في اسرائيل، الذي يقول بان الحريديم لا يهمهم من يحكم في اسرائيل بقدر ما تهمهم مصالحهم المادية، انطباع غير صحيح، فالحاخام شاخ هو نفسه الذي اصدر فتوى بان حكم اليساري هو "حكم المطارد" وحسب طريقته فان كل من يعارض اليهودية له نفس الحكم ويجب ايذاؤه حسب هذا القانون الذي يسمح بقتل اليهودي بدون محاكمة. وقد أدى ذلك لمقتل رئيس حكومة فيها. ان ميلهم الكامل والواضح لليمين الاسرائيلي أثر على قواعد اللعبة فيها وأيضا على ديمقراطيتها وخارطتها السياسية.

قمة هذه القناعات كانت من خلال المدرسة التي تتمثل بالحاخام كوك واتباعه الذين يروا في العلمانيين "حمار المسيح"، حمارا بكل معنى الكلمة، عليه يركب المسيح الديني الروحي بعد ان ينتهي العلمانيون من بناء الدولة المادية، ليأتي دور المتدينين في السلطة والحكم من أجل انتاج الدولة الروحية المسيحية واقامة مملكة الله على الارض.

على صعيد الدائرة الفلسطينية، فتقول معطيات وزارة الداخلية الاسرائيلية ان أكبر ازدياد في عدد المستوطنين هو ما شهدته مستوطنات الأصوليين اليهود المتشددين دينيا (الحريديم)، وهناك مستوطنات ضاعفت عدد المستوطنين فيها. من الملفت للنظر في هذه المعطيات ان عدد المستوطنين من الحريديم ارتفع في السنوات الأخيرة بوتائر عالية حتى باتت نسبتهم من بين المستوطنين حوالي ٢٥٪. ناهيك عن أتباع غوش ايمونيم. الأيديولوجية المسيحانية للمستوطنين المتدينين في المناطق المحتلة، هي الأخطر والأكثر نفوذا، لأنه بخلاف غالبية المستوطنون غير الإيديولوجيين، نجد أن استيطانهم ينبع من أسباب أيديولوجيه، عقائدية، دينية وأصولية.

أما على صعيد الدائرة العالمية فنجد ان نظرتهم الاستعلائية على العالم باجمعه، واعتبار هذا العالم "حمارا للمسيح"، ناهيك عن عدم اعترافهم بالديانة المسيحية كديانة توحيدية، سيؤدي الى مواجهة حقيقيه ولو بعد حين.

للإجمال، وعلى خلاف الحريديم المقوتين في اسرائيل، تُعتبر حركة غوش إيمونيم محترمة في اسرائيل، وفيما يتعلق ببعض القضايا المهمة فانها تحظى بتأييد أوساط في اليمين واليسار وبين المتدينين طبعا، كما تؤيدها أيضا بعض الجماعات المتنفذة اليهودية والمسيحية في الولايات المتحدة الأميركية ، واحتمال أن تقوم غوش إيمونيم إما بالاستيلاء على السلطة في إسرائيل عن طريق انقلاب، أو التأثير بشكل كبير على السياسة الإسرائيلية من خلال حكومة متعاطفة، أمر ليس مستبعداً على الإطلاق.

---

## قائمة مصادر عربية ومعربة


اران، جدعون. ١٩٨٧. من صهيونية دينية إلى دين صهيوني: جذور غوش ايمونيم و ثقافته. بحث دكتوراه، القدس: الجامعة العبرية.

بشير، نبيه. ٢٠٠٥. عودة إلى التاريخ المقدس - الحريدية والصهيونية. دار قدمس للنشر والتوزيع (سورية/ لبنان).

بشير، نبيه. ٢٠٠٦. جدلية الديني السياسي في إسرائيل- حركة "شاس" كحالة دراسية. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار".

الجولاني، ٢٠٠٥/٥/١٠ www.islamtoday.net

رخلافسكي ، تسفي . ٢٠٠٥ . حمار المسيح : الأصولية اليهودية – الحاضر والجذور . دمشق : دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية . (عبري، ترجمة إسماعيل دبج )

شاحار، إيلان . ٢٠٠٥ . الحريديون والمجمع والسياسة في إسرائيل . دمشق : دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية . (عبري، ترجمة إسماعيل دبج).

شاحاك، إسرائيل ومتسفينسكي نورتون. ٢٠٠١. الأصولية اليهودية في إسرائيل. القاهره: روز اليوسف (ترجمة: ناصر عفيفي).

شاحاك، اسرائيل وتريستام بيير وهالبر جيف.٢٠٠٦. التنوير والاصولية. رام الله: دار التنوير للترجمة والنشر والتوزيع (ترجمة مازن الحسيني)

شعبان ، أحمد بهاء الدين . ١٩٩٦ . حاخامات وجنرالات : الدين والدولة في إسرائيل . دار السلام : نوارة للترجمة والنشر .

شيلغ ، يائير. ٢٠٠٢ . المتدينون الجدد : نظرة راهنة على المجتمع الديني في إسرائيل . رام الله : المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية . (عبري، ترجمة سعيد عياش) .

العفيفي، ميادة .٢٠٠٦. الأصولية.. صناعة يهودية قديمة، التاريخ يؤكد ذلك.. وشهادات الغرب أيضا www. annabaa.org

فريدمان، مناحيم. ١٩٨٩. المجتمع الديني والحريدي في إسرائيل بعد انتخابات الكنيست ال- ١٢: نزعات و سيرورات. سكيراه حودشيت ٣٦: ٢٢-٣٦.

فريدمان، مناحيم. ١٩٩١. المجتمع الحريدي :مصادر، نزعات و سيرورات. القدس: معهد القدس لبحث اسرائيل.

كركوتسكين ، امنون راز وسيجيف توم . ٢٠٠١ . إلا شاس ؟! . رام الله : المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية . (عبري، ترجمة محمد غنايم ) .

كيميرلنغ، باروخ. ١٩٩٤. دين، قومية و ديموقراطية في إسرائيل ". زمانيم. ١ ٥١- : صفحه ١١٦-١٣١.

لوستيك ، ايان. ١٩٩١ . الأصولية اليهودية في إسرائيل : من أجل الأرض والرب .

بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية . (عبري، ترجمة حسني زينة )

ليفمان، يشعياهو .. ٢٠٠٠ . العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل، المجلس الأعلى للثقافة. (عبري، ترجمة محمد محمود أبو غدير )

ماضي ، عبد الفتاح محمد . ١٩٩٩ . الدين والسياسة في إسرائيل : دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية . القاهرة : مكتبة مدبولي .

مناف، علاء هاشم. ٢٠٠٥. جدلية النزاعات وتنوعها في العملية الذهنية: محاولة البحث عن تصنيف لأنثروبولوجيا العقل العربي. www.drweb٤u.net

هوبرت ، أوري. ١٩٩٩ . العودة إلى الغيتو : الصهيونية في تراجع. (عبري، ترجمة أحمد العلمي ).

هيرست، دايفيد.٢٠٠٣. البندقية وغصن الزيتون، جذور العنف في الشرق الأوسط. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر

هالسل، غريس.٢٠٠٣. النبوءة و السياسة : الانجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية. بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع (ترجمة: محمد السماك)

## قائمة مصادر أجنبية

'Ali, Nohad. 2004. Political Islam in an Ethnic Jewish State: It's Historical Evolution and Contemporary Challenges. Holy Land Studies Journal. Twickenham: Edinburgh University Press.

'Ali, Nohad. 2004. The Islamic Movement In Israel: between Religious, Nationality and Modernity. Yonah and Goodman (Eds.): Maelstorm of Identities: a Critical Look at Religion and Secularity in Israel. Van leer Jerusalem Institute and Hakibbutz Hameuchad Publishing House Ltd. (Hebrew)

'Ali, Nohad. 2006. Religious Fundamentalism as an Ideology and Practice: The Islamic Movement in Israel in Comparative Perspective. A Thesis submitted for the Degree "Doctor of Philosophy. Haifa: University of Haifa.

Armstrong, Karen. 2001 The Battle for God: fundamentalism in Judaism, Christianity and Islam. London : Harper Collins Publishers.

Halsell, Grace. 1986. Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the Road to Nuclear War. Lawrence Hill & Company.

Horowitz Dan and Lissak Moshe.1989.Trouble in Utopia: The Overburdened Polity of Israel. Albany, NY.

Kepel, Gilles. 1994. The Revenge of God: The Resurgence of Islamic, Christianity and Judaism in the Modern World. Philadelphia: Pennsylvania State University Press.

Kretzmer, David. 1990. The Legal Status of the Arabs in Israel. Westview Press, Boulder.

Lawrence, Bruce. 1989. Defenders of God. The Fundamentalist Revolt against the Modern Age. San Francisco: Harper and Row.

Lustick, Ian. 1988. Jewish Fundamentalism in Israel: For the Land and the Lord. New York: Council on Foreign Relations.

Marty, Marty and Appleby, Scott. (Eds.). 1994. Accounting for Fundamentalism: The Dynamic Character of Movements. Chicago: University of Chicago Press

Marty, Martin and Appleby, Scott. 1992. The Glory and the Power: the Fundamentalist Challenge to the Modern World. Boston: Beacon Press.

Marty, Martin and Appleby, Scott. 1993. Fundamentalism and the State. Remaking Polities, Economies and Militancy. Chicago: University of Chicago Press.

Shahak Israel and Mezvinsky Norton. 1999. Jewish Fundamentalism in Israel. London: Pluto Press.

Sprinzak, Ehud. 1986. Gush Emunim: The Politics of Zionist Fundamentalism in Israel. New York: American Jewish Committee.

### Internet websites

www.arabs48.com
www.drweb4u.net
www.islamtoday.net
www. annabaa.org